الجامعة العثمانية

العلم والوطن — الاتحاد والارتقاء

مجلة سياسية علمية ادبية تهذيبية

« يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة »

« ليست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة والاقدام من اخص وظائف المدرسة »

الاسكندرية في اول يوليو (تموز) سنة ١٨٩٩ — الموافق ٢٣ صفر سنة ١٣١٧

باب المقالات

٢

كتاب مفتوح

مرفوع

الى حكام دولتنا العلية

قال الشاعر العربي

وكنا افتاها ولم تك مالنا وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن
كما تؤلف الارض التي لم يطب بها هواء ولا ماء ولكنها وطن

تؤلف الارض التي لم يطب فيها هواء ولا ماء لانها وطن فكيف انت يا اخصب ارض الله واطيبها هواء وماء ارض سوريا وفلسطين واسيا الصغرى وما بين النهرين؟ لقد شهدت افراحنا واحزاننا. شربت اول دمعة سقطت من عيوننا وقبلت اول بسمة بدت في افواهنا. ورأيت اول حركة تحركتها قلوبنا. وطار في جوك الهادىء اللطيف اخر نسمة من نسمات روح اجدادنا واصدقائنا. في سمائك الآن تتيه ابصار اهلنا واحبابنا. وترفرف ارواح موتانا فوق قبورهم المقدسة في ارضك الطيبة. انت لدتنا في الماضي وذكرك سرورنا في الحاضر. ورجاؤنا في المستقبل. اذا ذكرنا الشرق وبحثنا في صلاح حاله فاياك ايتها البلاد العزيزة نعني وصلاح حالك قبل كل شيء نريد.

اوري عن هواه بحب ليلى وفيه تغزلي وبه هيامي

وانما الشرق في نظرنا بالقياس اليك بمنزلة المصباح من البدر. او القتاد من الزهر. فالسلام عليك وعلى سكانك. السلام على كل ما في ربوعك حتى على تراب ارضك. وورق شجرك. وحجارة جدرانك

***

السلام عليك تحية مشتاق اليك مخلص لك مولع بك راغب في صلاح حالك وانتظام احوالك. يرغب في ذلك لا بوسائل الشدة والعنف فان هذه قد احنكرها قوم نرى ما لا يرون ونعتقد ما لا يعتقدون. وانما يرغب في ذلك بالوسائل الطبيعية والسير المطبيعي القاضي بعدم الوقوف لان الوقوف في هذا الزمان نكوص وعدم التقدم تاخر والحياة اصبحت جهاداً شديداً بين الامم والشعوب فمن وقف داسه القادمون بعده وساروا على جثته الى اغراضهم

ونعلم انك تكرهين هذا الوقوف لانك اعتدت الحركة منذ القديم يوم كنت كوكب الشرق والغرب وكان سكانك اول الواضعين لاسس التمدن والعمران واول الباذرين بذور الحضارة التي تجني اوروبا ثمارها في هذا الزمان. في سفح لبنانك عاشت اول امة تجارية واول دولة بحرية كانت صلة بين

الغرب والشرق . في بوسنورك قامت اعظم دولة في العالم . على ضفاف اردنك انبثق ذلك الفجر الساطع الذي ينير العالم الى هذه الايام . في حجازك قامت شريعة جديدة قدرت بقوة عجيبة على كل شريعة وبسطت لواءها على الكرة الارضية . بين دجلتك وفراتك قام تمدن شرقي عظيم في زمن كانت فيه اوربا اكواخاً للبرابرة والصيادين . وفي قطعة صغيرة من ارضك يسمونها اسيا الصغرى قامت ايتها الارض العجيبة امم كثيرة باسلة كانت رسل فجر هذا التمدن وطلائع نوره واساس بنائه

اذن ما انت بعزيزة علينا نحن ابناءك فقط بل انك عزيزة على العالم اجمع لماضي مجدك وجلال شانك . فانت اذن عزيزة علينا من وجهين . الاول لان تربتك الطيبة مجبولة بدموعنا ومسراتنا وذرات اجسام اهلنا واحبائنا . والثاني لانك عظيمة في التاريخ يالامنا العظيمة ونحن سواء كنا من احفادك او من ابنائك يحق لنا بل يجب علينا ان نفتخر بعظمتك ونسهر لحفظ كرامتك

***

انت عزيزة لماضيك اللامع الذي مرّ ذكره فكيف اذا اضيف الى ماضيك حاضرك ومستقبلك . حاضرك اذا لم ير فيه قصار النظر امراً كبيراً فالذنب لقصر نظرهم لا لك . فان تربتك الآن مملوءة بالخيرات الطبيعية . فيها الخيرات المعدنية على اختلاف انواعها وفوق ذلك الخيرات الزراعية . خيرات مخزونة في جوفك لا يقتضي الوصول اليها الا شق هذا الجوف ومد اليد لاخراجها . في جملة اراضيك الارض التي قيل عنها في التاريخ القديم انها تدر لبناً وعسلاً . في جملة اراضيك تلك الارض البكر العذراء التي لم يشقها محراث الزارع منذ مئات من السنين . فحاضرك من حيث خيرات ارضك المعدنية والزراعية حاضر يحق لكل ارض ان تحسدك عليه

اما حاضرك من حيث خيراتك الادبية فما تحسدين عليه ايضاً . فانه كما ان تربتك بكر عذراء مستعدة لاخراج خيراتها الزراعية والمعدنية عند شق المحراث والمعول فشرتها السطحية كذلك عقول ابنائك مستعدة لاخراج الخيرات الادبية والعقلية المخزونة فيها عند تمهيد السبل في وجوههم واطلاق ايديهم وعقولهم . يكفي لتحقيق ذلك ان تري فريقاً من ابناءك وهم السوريون واللبنانيون يعبرون البحار ويجوبون القفار ميلاً مع هوى النفس الكبيرة الى تسنم غارب العلى وطلب الرزق في بلاد الله . يكفي ان تنظري تلك المدن الجديدة النابتة من الارض كما تنبت ازهار الربيع كطرابلس وبيروت وازمير والاستانه وان تمعني النظر في تلك الهيئات الاجتماعية المتمدنة الجديدة التي تتوالد وتتكاثر وتنمو في هذه المدن الكبيرة وفي سائر المدن العثمانية الاخرى لتعلمي ان هذه حال امة تحيا وتنمو خلافاً لما يراه قصار النظر وثقلو القلوب . وبالجملة فان في نفوس ابنائك على اختلاف عناصرهم وفي هيئتك الاجتماعية الجديدة من الذكاء والحمية والنشاط وحب العمل ما في تربتك من كنوز الخصب والقوة الحيوية . واي حاضر احسن من هذا ؟

اما مستقبلك فماذا نقول فيه . ان حاضرك يدل عليه ومن الفسيل تعرف النخيل . اطلقي تلك الكنوز من جوف تربتك وتلك الخيرات المحبوسة في عقول ونفوس ابنائك وانظري بعد ذلك يا ايتها الارض العثمانية كيف يكون مستقبلك

فلا لوم علينا اذن اذا قلنا انك عزيزة علينا وعلى العالم لماضيك المفقود . وحاضرك الموجود . ومستقبلك الموعود . وانما اللوم علينا اذا أهنا ذاك الماضي وخنقنا المستقبل باهمال الحاضر

***

واكرام الماضي وتدبير الحاضر وتمهيد سبيل المستقبل ليست من شؤوننا ولكن من شؤون حكامنا الاجلاء الذين اقامهم الله فينا امناء على تلك الكنوز والخيرات المادية والادبية . اذاً ما اعظم وظيفتهم واسمى مقامهم . وما اسعد هذه الامة بهم اذا اتبعوا ضميرهم وسلكوا بها مسالك العدل والامن والثروة التي فصلنا امرها في الماضي . وليس من شأننا ان نرسم لهم خطة سلوكهم باعنا يقصر عن ذلك وانما نحن نقول ما نعلم على ضعفنا وتقصيرنا وما هو الا صوت في جملة الاصوات المرتفعة من كل جانب بذكر الداء والدواء . ونعتقد انه يوجد بين هذه الاصوات اصوات اعلى واشدّ الا اننا لا نعتقد بوجود ما هو اكثر اخلاصاً . نقول ذلك غير مفتخرين اذ لا فخر في الاخلاص لانه واجب على كل ذي « شعور صحيح » . فبصوت نفس محبة مطيعة للقانون هادئة لتفاني في الخدمة الوطنية الحقيقية لانها تخدم نفسها وعشيرتها وان كان بعض هذه لا يعرف هذه الخدمة اولا يريد بها . بهذا الصوت الذي لو تجسم لكان ناصع البياض كالثلج . صافياً كالماء الزلال خالصاً من كل كدر كالذهب النقي . بهذا الصوت الخالص الممزوج بالاحترام والحب نرفع الى حكامنا قولنا « اكرموا الماضي ودبروا الحاضر ومهدوا سبيل المستقبل »

***

ومعنى هذا بعبارة صريحة ان انهضوا بوطنكم واصلحوا شؤون امتكم . البحر هائج مضطرب . والجو اسود مكفهر . والزحام شديد والاعداء تحيط بالامة من كل جانب فيجب قهر هؤلاء الاعداء والنهوض بها من غير التفات الى ذلك الهياج والاكفهرار والزحام . وهؤلاء الاعداء ثلاثة : الاول العدو الخارجي الذي يطمع في مافي قبضتنا ويتداخل في امورنا تارة بحجة الحماية الدينية او نصرة الانسانية وآونة بحجة اموالهالتي نقرضنا اياها . اما الحجة الاولى فدواؤها الوحيد اتباعنا السياسة الداخلية القويمة من التوفيق بين العناصر العثمانية ومعاملتها معاملة واحدة باخلاص وحسن نية . واما الحجة الثانية فلا زوال لها الا بوفاء تلك الديون والاقتصار في النفقات على الحاجي دون الكمالي حتى لاتزداد تلك القيود والسلاسل الذهبية

العدو الثاني الداخلي . ويطلق هذا على فريقين من ابناء الامة . فريق يمهد سبيل الاجنبي ويساعده على ما يريده من الشر بدولته سواء في السر او في العلانية وفريق يبذر بذار الشقاق والفساد بين عناصر الامة وينفخ في فئة منها روح التعصب والجهل موغرًا صدرها على فئة اخرى . وكلا الفريقين في نظرنا عدو للبلاد التي نشأ فيها

العدو الثالث اشد اعداء الامة واكثرهم فتكاً بها وهو « الحاكم الظالم » الذي يتخذ منصبه وسيلة لملء جوفه بمال السحت والظلم ناهشًا لحم الامة وممتصًا دمها وهادمًا بيده الاثيمة اساس بنيانها ومبعدًا عنها قلوب ابنائها وانصارها

فوظيفتكم ايها السادة حكام دولتنا العلية ان تحاربوا هؤلاء الاعداء الثلاثة لتنقذوا البلاد من شرهم . وابدأوا بالاخير فاعدوه . اضربوا بعصا من حديد على تلك الايدي الاثيمة التي تمتد بحبائل الحكومة دينار الغني ودرهم الفقير وفلس الارملة . انبذوا نبذ النواة اولئك الذين يحسبون مناصب الدولة تجارة يصرفون بها الاموال الى جيوبهم فيجنون على انفسهم لانهم ينزلونها في احط منزلة وعلى الامة لانهم يهدمون بنيانها بايديهم

وكما تحفظون خراف الامة من هؤلاء الذئاب احفظوها من الثعالب الاخرى . احفظوها من مريدي الشر لها ودعاة الفساد والشقاق فيها فان ضرر الفريق الواحد مساو لضرر الفريق الثاني . وكما تحفظونها من هؤلاء الذئاب والثعالب احفظوها من تلك الثمورة القاسية التي تطلب الحرية والاستقلال لنفسها وتكرههما لسواها

وطريقة حفظها من هؤلاء الاعداء الثلاثة الذين يتناوشونها كل من جانبه ان نحوها قوة تثبت بها في وجوههم وترد عنها عدوانهم حتى اذا ما اسمعها الاول اغراء وذكر لها سوء حالها ليستميلها اليه اجابته بقولها « كنتم يومًا مثلنا وسنكون يومًا مثلكم » واذا سمعت صوت العدو الثاني قالت للفريق الاول منه « سوء حالكم لا يبرر خروجكم واذا لم تخلصوا الا في سرائكم فاي فضل لكم » وقالت للفريق الثاني « تعلمونا ان نكره بعضنا بعضًا لاختلاف بيننا في المذهب فسآ فالكم ان في هذا المبدأ الوخيم خراب بلادنا وانحطاطنا جميعًا » وقالت للعدو الثالث « فليكن ماتأكلونه من مالنا ظلمًا وعدوانا نارًا تحرق احشاءكم »

ولكن الامة لا تزال طفلة وقد ينقضي عليها زمن طويل دون ان نقدر على النداء بهذا الكلام . فهو الآن ياحكامنا من وظيفتكم . نادوا على السطوح بجريمة الذين يتخذون مناصبهم آنابيب يستقطرون بها دماء الامة ليمتصوها امتصاصًا نادوا بجريمة الذي يبذر بذور الشقاق والتعصب والانقسام سواء كان سنيًا او مسيحيًا . اجمعوا اغصان شجرتكم بقوة ولين : بهذه الامور الثلاثة تسعدون بلادكم

وانما تسعدونها اذا كان القول مقرونًا بالعمل فان القول وحده كلام يذهب في الهواء . فباسم الله وباسم حبكم لوطنكم وغيرتكم على سمعة بلادنا وبلادكم بازاء الاجنبي الغريب الناظر الينا والبكم مدوا أيديكم الكريمة الى هذا الحقل العثماني الطيب الخصيب « واكرموا ماضيه ودبروا حاضره ومهدوا سبيل مستقبله » بنبذ بذور الشقاق والامتياز من تربته . بمزج عناصره مزج الراح بالماء . بالضرب بعصا من حديد على يد كل بستاني اي كل حاكم لا يقوم بواجباته

***

هذا ما اردنا ان نزفه اليكم . رفعناه واطلنا الكلام فيه لانه يلذ لنا الاطالة في ذكر تلك الارض العزيزة الملقى زمام ماضيها وحاضرها ومستقبلها في ايديكم . وكما انه يلذ لنا ذكر تلك الارض المحبوبة يلذ لنا ايضًا ذكر الايدي القابضة على زمامها . فالسلام عليكم وعلى تلك الايدي يوم تمدونها لضمد الجراح ومسح الدموع وادخال الامة في دورها الجديد الذي ينتظره الآن في كل مكان ملايين العثمانيين

نقول ذلك ولا نجهل مافي طريقكم من العقبات والعثرات . ولكن بقدر الصعوبة التي تكون في طريقكم يكون فضلكم عظيمًا وفوزكم كبيرًا

لا نجهل ذلك ولا نجهل ما يجب لكم علينا كما اننا لانسى مالنا عليكم . لنا عليكم ان تخدموا بلادنا وبلادكم خدمة صحيحة وتنهضوا بها وتعلوا شأنها ولكن علينا نحن ايضاً مثل ما عليكم

علينا ان نكون في مقدمة خادمي الدولة والامة واول الخاضعين للقانون الذي باسمه نطلب منكم العمل لبلادنا وبلادكم باحترام ورضى نطأطىء الرأس لدي هذا المبدأ الصحيح ونقوم بهذا الواجب

علينا كصحافيين ان لانزيد العقبات عقبة بما نغرس في نفوس القراء مما يفسد شعورهم ويعوج حكمهم فيقل ايديكم او يهدم عند العمل عملكم : باحترام ورضى نحني الرأس ايضاً امام هذا الواجب

علينا ان نطيعكم ضمن دائرة القانون والعدل ونحترمكم ونحبكم ونسهل عملكم . باحترام ورضى نحني الرأس ايضاً امام هذا الواجب

ها اننا نقوم نحن بواجباتنا فنخدم . ونطيع . ونحترم . ونحب . ونسهل . قوموا انتم ايها السادة بواجباتكم

تاثير الموسيقى

في الحيوان

(انظر الرسوم التالية)

هل للحيوان نفس ؟ واذ كان له نفس فاين تذهب بعد الموت ؟ واذا لم يكن له نفس فما هو مصيره ؟ وهل يشعر الحيوان بما يشعر به الانسان من الحب والغضب والكراهة والخوف والالم ؟ لا ريب في ذلك لانه امر ظاهر . ولكن هل يشعر الحيوان بما يشعر به الانسان من الميل لما هو جميل وحسن وشجي كالموسيقى مثلاً

جرب احد علماء الانكليز في حديقة الحيوانات في لندن تأثير الموسيقى في الحيوانات فتوصل الى نتائج بسطها في مجلة برسونس ماكازين الانكليزية . وقد اختار من الات الموسيقى ما كان ذا صوت قوي حاد كالكمنجة وما كان ذا نغم رخيم كالشبابة (القصبة) واخذ معه فونوغرفياً لتصوير الحيوانات وهي تسمع الانغام الموسيقية لمعرفة حركاتها وتأثرها من رسومها

وكان اول حيوان زاره القرود فلما سمعت اصوات الموسيقى فرت الى بيوتها . ولكن القرد المعروف بالاورانغوتان اطربته الموسيقى فجلس مطرقاً كأن تلك الالحان اشجته فجعلته مبهوتاً . ولما بطلت الموسيقى وذهب العالم صرخ القرد صراخاً دل على غيظه من قطعهم الموسيقى وتركهم اياه

ثم زار هذا العالم النسر واسمعه الانغام الموسيقية فراق النسر اصواتها وبقي مصغياً اليها . وكان النسر المعروف بالنسر الملكي نائماً . فلما رنت اصوات الموسيقى فتح عينيه على حين بغتة ولبث مبهوتاً شاخصاً في الموسيقيين ولم يصرف نظره عنهما حتى قطعا الغناء

ثم قصد العالم التمساح وهو راقد في مكانه . فلما سمع التمساح الموسيقى رفع رأسه في الهواء قليلاً ثم اخذ ينظر اليهم « باسماً » مصغياً . الا انه لما سمع صوت الشبابة الرخيم توارى عن البصر على عجل

واقترب العالم من اللبوة وهي مستغرقة في النوم فلما سمعت الموسيقى هبت من رقادها مذعورة ونظرت اليهم نظر الغضب ثم اشتدت الاصوات الموسيقية فتحركت اللبوة ونهضت واخذت تركض في قفصها

اما الذئاب فقد سمعت الموسيقى الى النهاية . ولما بطلت ظهر الاستياء في وجهها وقام احدها ومد يده بين قضبان القفص الحديدي كأنه يطلب اعادة الالحان . وكثيرون من السياح رووا ان الذئاب تجتمع عليهم في الصحراء هي وبنات آوى وتجلس اليهم من بعيد حلقة واحدة لتسمع انغامهم الموسيقية

اما النمر فاعجبته كثيراً الانغام الرخيمة فاخذ يتثاءب ويتمطى كالهر الكسول . ثم جعل يفرك جلده بقضبان قفصه الحديدية . والافعى راقتها الانغام الرخيمة ايضاً فسمعتها باصغاء وانتباه

هذا اهم ما رآه العالم من التأثير في الحيوانات التي اسمعها الموسيقى ولاحظ هيئة سحنتها وهي تسمعها لمعرفة مبلغ ما تؤثره فيها . ولما وقفت المجلة الباريزية الفرنسوية على تجارب العالم الانكليزي حذت حذوه وجربت تجربته في حديقة الحيوانات في باريز فكان نجاحها اقل من نجاح العالم الانكليزي الا انها وجدت في تجاربها امرين يستحقان الالتفات . الاول تأثر الزرافة للاصوات الموسيقية وطربها لها حتى مدت عنقها واخذت طرف الآلة الموسيقية بلسانها كانها تريد ان « تشرب » اصواتها شرباً

والامر الثاني طرب الغنم المرسلة من داهومي الى حديقة الحيوانات فانها ما سمعت اصوات الشبابة حتى اخذت تركض الى جهة النافخ فيها كانها ذكرت اصوات شبابات رعاتها في جبال الداهومي واوديتها .

ومما يروى عن تأثير الموسيقى في الحيوان ان رجلاً اعتاد ان يدخل حرشاً وفي يده شبابة ينفخ فيها انغاماً شجية

ثم ينفرد منها قمري وانثاه و ياخذان بالغناء جواباً لغناء الرجل (الرسم الاول)

فكانت تجتمع عليه الطيور في الحرش وتغرد على الاشجار فوقه ثم ينفرد منها قمري وانثاه فينزلان الى غصن دانٍ و ياخذان بالغناء جواباً لغناء الرجل كما ترى في الرسم الاول

وقد جرب بعضهم تاثير الموسيقى في حيوانات اهلية قبل ان سمعت انغاماً موسيقية فجاءت نتائج تجاربه كالنتائج السابقة . فان الكلب لما سمع صوت الموسيقى وكان جاثماً على الارض هب واستوى على يديه محدقاً بها ومنصتاً اليها (انظر الرسم الثاني) والبط التفتت اليها بنزق حين سمعتها وابتعدت عنها في البركة الا انها لبثت ناظرة اليها. (انظر الرسم الثالث) اما البقرة فاخذت تنظر اليها وتطيل النظر من غير ان يبدو على محتها شيء من الرغبة او الرهبة كأن وجوهها وجه اولئك الفلاسفة الكبار الذين عركهم الدهر وعركوه فصلبت بشرة وجوههم حتى اصبحت لا يبد و عليها شيء مما في نفوسهم . (انظر الرسم الرابع)

هذا ما رأينا جمعه للقراء في هذا الموضوع طلباً للفكاهة والفائدة. والارجح ان جميع التأثرات التي مرَّ ذكرها ناشئة عن استغراب الحيوانات تلك الاصوات الموسيقية التي تسمعها لا عن تأثيرها فيها تأثيراً موسيقياً الاَّ امر غنم الداهومي فتعليلها العلمي ظاهر وهو ذكرها مراعيها ورعاتها عند سماعها اصوات شبابة كشبابتهم

وامر القمري في الحرش فانه من قبيل التربية والعادة وليس هذا الامر من الموسيقى في شيء كما لا يخفى

فان الكلب لما سمع صوت الموسيقى وكان جاثماً على الارض هبَّ واستوى على يديه محدقاً بها ومنصتاً اليها (الرسم الثاني)

وفيما نحن نقلب الجزء التاسع من حلة الضياء الغراء بعد كتابة ما تقدم عثرنا على ثلاث حوادث مذكورة فيه بقلم حضرة

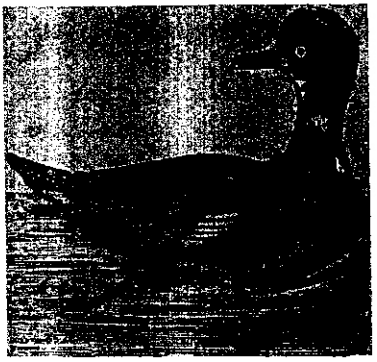

والبط التفتت اليها بنزق حين سمعتها وابتعدت عنها في البركة الا انها لبثت ناظرة اليها (الرسم الثالث)

الكاتب الاديب نقولا افندي الحداد تدل على تاثير الموسيقى في الحيوان والنبات . الحادث الاول ان بعضاً من تلامذة احدى المدارس الكلية في بيروت قبضوا على حية صغيرة ليمتحنوا تأثير الموسيقى فيها فاطاقوها في قمحة واسعة وكان احدهم يلعب على كمنجته فتقف واذا توقف عن اللعب تسير وامتحنوا ذلك مراراً فصح امتحانهم

والحادث الثاني ان ابن قسيس في بياز ماد زبورك وعمره اربع سنوات دنا من اسد مسلسل لبعض الجيران وكان من اشرس السباع الى ان صار عند براثنه فخنقت لذلك قلوب الناظرين ولم يكن من يجترىء على التقدم لانقاذه . ورات ذلك فتاة كانت في غرفة مشرفة على موضع الاسد فاسرعت الى آلة موسيقية واخذت توقع عليها اللحن المعروف « بملك الاجام » فسر الاسد سروراً ذهل به عن فريسته والتفت الى جهة الصوت مصغياً فعاد الولد مطمئناً ولكنه لما بلغ البيت وسمع البكاء وشاهد الاضطراب صرخ وبكى

الحادث الثالث ان رجلاً من اهالي حمص زاره صديق فقصدا التنزه في بستان بظاهر البلدة فعند دخولها اليه وجد الحمصي ولده وابن اخيه وصاحباً لهما حسن الصوت مجتمعين حول شجرة طولها نحو متر ذات جذوع وورقها كورق الحناء وزهرها اصفر بحجم زهر الفل فسالهم عن سبب اجتماعهم فاعلموه انها « شجرة العاشق » وهي شجرة يزعمون انه اذا انشد احد تحتها بنغم الاصفهان انشاداً حسناً طربت فتناثر زهرها . قال الراوي فهززت هذه الشجرة فلم يسقط منها زهرة فاوعزت الى الغلام ذي الصوت الحسن ان ينشد فلم ينشد حتى اخذ الزهر يلوي ويسقط فتركنا هذه وتتبعنا خمساً اخرى من نوعها فوجدنا عن مثل الاولى .

وغني من البيان اننا نقلنا هذه الحوادث الثلاث من قبيل تنكهة القراء وبودنا لو يخبرنا حضرات القراء في حمص هل سمعوا بهذه الشجرة

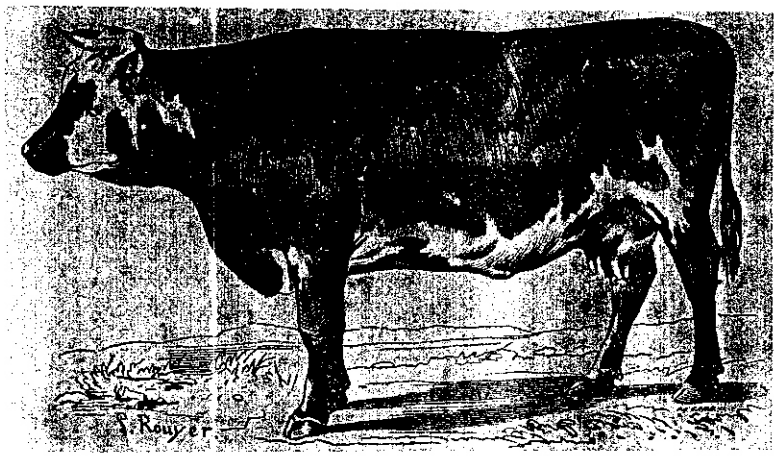

اما البقرة فاخذت تنظر اليها وتطيل النظر من غير ان يبدو على محتها شيء من الرغبة او الرهبة (الرسم الرابع)

ليكورغوس

واضع شرائع سبارطه

تاريخ حياته ـ شرائعه في سبارطا ـ تاثيرها ـ التربية الاسبرطية

انتهينا في الكلام على تاريخ حياة ليكورغوس في الجزء الخامس الى بلوغه السلطة العليا وشروعه في ادخال الاصلاح الى سبارطه برغمى ملكيها وشعبها . ونحن الآن ذاكرون انواع هذا الاصلاح فنقول

مجلس السنات

كان اول اصلاح ادخله ليكورغوس الى سبارطه تأليفه مجلساً عالياً لحكومتها يدعى السنات . قال افلاطون . خير ما عمله ليكورغوس في سبارطه انشاؤه هذا المجلس العالي فانه جعله صلة بين الشعب والملكية فاذا قام في نفس الشعب ان يضطهد الملكية ساعدها هذا المجلس عليه واذا خطر للملكية ان تضطهد الشعب ساعده المجلس عليها . فتكافأت به قوة الاثنين وتوازنت سلطتهما

وقد جعل ليكورغوس عدد اعضائه ٢٨ عضواً حتى اذا اجتمع ملكا سبارطه بهم اصبحوا جميعاً ٣٠ عضواً . وخول للملكية حق حل هذ المجلس ومنح الشعب حق الغاء قراراته او الموافقة عليها . وجعل مكان اجتماعه بين نهر كناسيون وجسر بابيس في الخلاء لانه رأى ان القاعات المنمقة المزوقة لا تصلح لاجتماع قوم من العقلاء عهد اليهم الحكم في مصالح البشر وامورهم اذ قد يشغلهم منظر التزويق والتنميق عن بعض مامهم فيه وينفخ فيهم العجب والكبرياء . فاصبحت طريقة الحكم في سبارطه على هذا الوجه : يقترح الملكان واعضاء السنات الاقتراحات على المجلس من غير ان يكون لاحد من الشعب ان يقترح اقتراحاً . ومتى وضع المجلس قراره عُرض القرار على الشعب فله ان يقبله او يرده . واذ اصبح الشعب بعد عهد طويل يزيد في هذه القرارات او يحذف منها ميلاً مع هواه ابلغه الملكان ان الآلهة قد امرت بحل اجتماع المجلس والغاء ما يزيده الشعب او يحذفه كلما زاد او حذف وبذلك نزعت الملكية من يد الشعب سلاحاً قوياً

ومع ان هذا المجلس قد افاد حكومة سبارطا كثيراً فانه ما لبث بعد ليكورغوس ان انقلب نفعه ضراً . ذلك ان اعضاءه شرهت نفوسهم الى الاستبداد فاصبحوا شديدي الوطأة على الشعب كما كان شديد الوطأة على حكومته . فتقرر ان ينتخب الشعب خمسة قضاة يكون لهم يد في ادارة الشؤون ضرباً على ايدي اعضاء السنات . واول من عمل بهذا النظام الملك تيو بومب . فعنفته زوجته على عمله هذا لانه يحط من كرامة الملك اذ يقل يده ويضعف سلطته ويجنسه لانه سيخلف الملك لاولاده ضعيفاً مضعضعاً . فاجابها الملك « كلا بل انني اخلفه قوياً راسخ الاركان » وقد صدق هذا الملك فان الشرور السياسية التي انتابت المسينيين والارغوسيين من اتساع الخرق بين الملكية والشعب لم تجد سبيلاً الى الاسبرطيين مع انهم جيرانهم واقاربهم والفضل في هذا لمشروع ليكورغوس وادخال هؤلاء القضاة فيه يلينون شدة المجلس ويكونون بالنيابة عن الشعب حكما بينه وبين الملكية . هذا اول اصلاح ادخله ليكورغوس الى وطنه

قسمة المنقولات وغير المنقولات

وثاني الاصلاحات التي انشأها ليكورغوس قسمة الاراضي بين الاسبرطيين بالسواء . فقد كانت الامة في لاكونيا كما هي الامم في هذا العصر اي فريقين فريق الاغنياء الذين يكنزون الاموال ويملكون الاراضي الواسعة وفريق الفقراء الذين لا يملكون خبزهم ولا يكنزون الا الشقاء . فرغبة في ان يطرد ليكورغوس من لاكونيا وسبارطه عاصمتها الرذيلتين لاشد تقويضاً للممالك وهما « الفقر والغنى » اللذين يجران وراءهما الصلف والحسد والبخل والاسراف وما اشبهها من الرذائل وطن النفس على اقناع الاسبرطيين بتسليم اراضيهم كلها لقسمتها بينهم من جديد قسمة عادلة . فالقى اليه الاسبرطيون اراضيهم فقسم اراضي لاكونيا الى ٣٠ الف حصة وزعها على السكان وقسم اراضي مدينة سبارطه الى ٩ الاف حصة وزعها على سكانها ايضاً . وكانت كل حصة من هذه الاراضي كافية لاخراج ما يقتات به رجل في السنة من حبوب وخمر فلم يبق في سبارطه من يشكو حاجة او من يشكو جاره لزيادة رزقه عن حاجته . وفيما كان ليكورغوس عائداً يوما من سفر ابصر حقول لاكونيا ممتلئة باكداس متساوية من المحصولات فقال باسماً لرفاق يصحبونه « ان محصولات لاكونيا كبيراث اقتسمه اخوة لاب واحد »

ورغبة في جعل الاسبرطيين متساوين في كل شي اراد قسمة المنقولات كما قسم العقارات . ولكنه رأى في الامر

صعوبة لرفض اغنياء الاسبرطيين التنازل عما في ايديهم منها فرأى ان يأتيهم من طريق اخرى. ذلك انه امر بالغاء نقود الذهب والفضة ليقضي بذلك على البخل والغنى قضاء مبرماً. وبعد ابطال النقود الذهبية والفضية ضرب النقود من الحديد وجعلها بحجم كبير وقيمة بخسة حتى ان من اراد حمل ما يساوي عشرة جنيهات منها لزمه ان يحضر مركبة يجرها ثوران لجر هذه القيمة . . .

فطردت هذه السكة الجديدة من سبارطه كل عدوان وجرم واختلاس اذ لم يبق احد من الاسبرطيين يقدم على سرقة نقود لا تسرق لثقلها وكبر حجمها واذا سرقت فلا سبيل الى اخفاء امرها . ولم يبق احد يصنع شراً للحصول على هذه النقود الغريبة بل لم يبق ميل في النفوس الى اقتنائها . وحتى لا يبقى لها نفع بعد كسرها تخافة ان يخطر لاحد سرقتها لكسرها والانتفاع بها جعلها ليكورغوس من حديد لا ينفع شيئاً بعد كسره . ويقال انه كان يغمسها بالخل بعد احمائها الى درجة الحمرة فتفقد قوتها وتصلب وتصبح غير صالحة للطرق بل تتفتت وتتقصف تحت المطرقة

بذلك قضى ليكورغوس على « اله الذهب » قضاء مبرماً فتفرقت جنوده ايدي سبا وفيها الدناءة والبخل والسرقة والاسراف والكبرياء والعدوان وباقي الرذائل التي نبتت في حقل « الثروة »

ثم الغى في سبارطه جميع الفنون الكمالية اي التي لا حاجة بالشعب اليها . وهب انه لم يلغها فانها كانت قريبة من الاندثار من تلقاء نفسها وذلك باندثار النقود الفضية والذهبية لان امم اليونان الاخرى كانت لا تقبل النقود الاسبرطية الجديدة بل تسخر منها واي فائدة لارباب تلك الفنون من نقود لا يتعامل بها . فلم يبق في استطاعة الاسبرطيين ان يبتاعوا من خارج بلادهم شيئاً من مواد البذخ والزينة وتركت السفن الاجنبية الدخول الى ميناثهم اذ لم يعد لها حاجة في مملكة لا كونيا فلم يعد يُرى فيها تجار الرقيق وبياع الحلى والحلل والمتفلسفون والمشعوذون والقصاصون اذ لم يبق في ايدي السكان نقود رائجة تؤخذ منهم . فتساوى الفقير والغني واصبح مالك المنقولات كمن لا يملك شيئاً وانصرف عملة الاسبرطيين عن الفنون الكمالية والصنائع غير الضرورية الى الصنائع الضرورية والفنون الحاجية كعمل الكراسي والفرش والموائد فاتقنوها احسن اتقان وامتازوا باختراع كأس يسمونها الكأس الاسبرطية او « كوتون » وهي مما كان يستعمله الجنود في الحرب ووجه فائدتها ان لونها يمنع الجندي الشارب بها من رؤية كدر الماء اذا كان الماء كدراً والشفتها حاجز يمسك الكدر عن الوصول الى الفم فيشرب الجندي ماء زلالاً

الموائد العمومية

ورغبة في ان يستأصل ليكورغوس كل بذخ اوكل ميل للبذخ في سبارطه انشأ مشروعاً ثالثاً غريباً وهو « اقامة الموائد العمومية » . ذلك انه حظر على الاسبرطيين ان ياكلوا في منازلهم واقام موائد عمومية في اماكن مخصوصة ياكلون عليها كبارهم وصغارهم اغنياؤهم وفقراؤهم . فمنع بذلك حدوث ما يحدث منذ بداية العالم الى اليوم : اناس يسمنون اجسامهم بملآ كل السمينة والالوان المختلفة ويحشون بطونهم بكل ما تشهيه اليه نفوسهم فيجلبون بها على انفسهم الامراض البدنية والنفسانية . واناس في الشوارع فقراء معوزون يموتون جوعاً وعرياً ويردا ويأساً .

وكانت نفقات هذه الموائد تؤخذ من جميع الاسبرطيين اذ كان على كل منهم ان ياتي في كل شهر بمكيال من الدقيق وثمانية آنية من الخمر وخمس ليبرات من الجبن وليبرتان ونصف من ثمر التين وشيء من النقود لابتياع اللحم . وكان يجلس الى كل مائدة ١٥ شخصاً فيا كلون على موائد الدولة من طعام الدولة . وكانوا يراقبون بعضهم بعضاً فاذا وجدوا واحداً منهم لا ياكل ولا يشرب عملوا انه أكل في منزله فيوسعونه حينئذٍ تنديداً ويرمونه بالشراهة ومخالفة النظام

وكانوا ياخذون اولادهم الى هذه الاجتماعات العمومية ويمازحونهم فيها ليعودوهم احتمال المزاح لان الاسبرطيين برعوا في هذا الفن من الكلام . وكانوا يطيلون المزاح على من يحتمله ولكن متى طلب منهم من يمازحونه ان يتركوا المزاح تركوه لساعتهم . وحين خروجهم من هذه الموائد في الظلام لم يكن لهم ان ينيروا طريقهم بالمصابيح لبث الشجاعة في قلوبهم وتعويدهم السير بلا خوف في ظلام الليل

الا ان اغنياء الاسبرطيين سخطوا اشد السخط على ليكورغوس بسبب اقامة هذه الموائد ومنعه اياهم من التمتع بالطيبات في منازلهم . فاجتمعوا وثاروا يطالبونه حتى اذا وجدوه صرخوا صراخاً شديداً وهجموا عليه يرمونه بالحجارة من كل جانب ففرّ منهم وعمد الى هيكل هنالك ليلجأ فيه فتبعه فتى نزق شرس يدعى الكاندر يحمل عصا في يده . فلما اوشك ليكورغوس ان يبلغ باب الهيكل التفت ليرى من هذا الذي يطالبه وكان الكاندر قد ادركه

فبادره بضربة من عصاه ففقأ بها عينه . فلم يسلم ليكورغوس نفسه الى الألم بل التفت بثبات جأش الى الشعب الذي كان يركض وراءه واراهم الدم الجاري من عينه فتحول سخطهم الى رضى وندموا وخجلوا مما صنعوا ورغبة في مكافأته واظهار خطأهم منحوا ليكورغوس رقبة الفتى الكاندر الذي فقأ عينه اي جعلوه عبداً وملكاً له . ومنهم من يقول ان الكاندر لم يفقأ عين ليكورغوس ولكن ضربه بعصاه فقط . فاخذ ليكورغوس الكاندر الى منزله ولم يهنه بكلمة بل امر خدامه ان ينحوا وامر الكاندر ان يخدمه مكانهم فاطاع الفتى صاغراً ولزم خدمته وهو كل يوم يرى دماثة اخلاقه ولطفه ووداعته وحسن سيرته في منزله فندم على ما صنع ندامة شديدة واحب ليكورغوس حباً شديداً . وهكذا جعل ليكورغوس بلطفه وصفحه ذلك الفتى الشرس النزق رجلاً وديعاً محباً فكان في ذلك خير عقاب له ومقوم لاوده . ومن ذلك الحين امتنع الاسبرطيون من حمل العصي في اجتماعاتهم العمومية . واقام ليكورغوس هيكلاً لينرفا الهة الحكمة باسم مينرفا « او بتيليتيد » ابتهاجاً بنجاته من الخطر وسماها او بتيليتيد نسبة الى العين فانها في لغة الدوريين «اوبتيل» (ستأتي البقية)

التربية والتعليم

فتحنا هذا الباب للامهات والاساتذة والمعلمين في الشرق لنسهل لهم مبادلة الآراء فيه والمباحثة في مسائل التربية والتعليم فان البحث فيها من اهم ما يحتاج اليه الشرق الآن

تعليم البنات

لحضرة الكاتب المجيد نجيب افندي المشعلاني

« هل ان البلاد اشد احتياجاً الى تعليم
« الرجل ام الى تعليم المرأة »

(تابع ما قبله)

بقي عليَّ ان ابحث في جواب سؤالين آخرين وهما

من هو المسئول عن تعليم المرأة
وكيف او ماذا يجب ان تتعلم

اما جوابي على الاول فلا شك انهُ يسرُّ حضرة مناظري لاني لا استطيع ولا اريد ان اخفي هذه الحقيقة الساطعة وهي ان المسؤول عن تعليم المرأة هو الرجل فيجب ان يتعلم الرجل اولاً لكي يستطيع حينئذٍ ان يعلم المرأة ويؤهلها للمركز السامي الذي اوجدته لها الطبيعة

ولكني اسأل المعترض . الم يصبح عدد المتعلمين من الرجال كافياً للاهتمام بتعليم المرأة ؟ ألا يخرج في كل سنة من مدارس سوريا مئات من الشبان الذين الفتوا اكثر العلوم اللازمة ؟ الستا نرى ان المتعلمين من الرجال قد ازدادوا عدداً وانتشروا في اكثر انحاء البلاد ؟ انما حان الوقت الذي به ينبغي الاهتمام في تعليم المرأة ؟ اليس من الضروري حفظ الموازنة في العدد بين المتعلمين والمتعلمات

لا اظن ان احداً بيننا هذه الليلة يمكنه ان يجيب على هذه الاسئلة بالنفي ويكون صادقاً

ولكن اذا قيل ان مدارس الاناث ايضاً يخرج منها كل سنة عدد ليس بقليل من المتعلمات المتهذبات اقول للمعترض باني اسلم معك بان عدداً من الفتيات يتركن المدرسة في كل سنة نائلات الشهادة المدرسية ولكني لا اقول انهن متعلمات وسأبرهن على صدق هذا الرأي فيما بعد

وانما اقول هذا على الاجمال ولا اخصص فان بين اللواتي خرجن من المدارس ادبيات فاضلات متهذبات ولكنهن لسوء الحظ قليلات ولا يصدق هذا الوصف في اعتقادي على كل فتاة تركت المدرسة كما سترى

اما كيف تتعلم المرأة او ماذا يجب ان تتعلم فليس اكثر من الاراء فيه . وفي اعتقادي ان المرأة يجب ان تشوق تشويقاً الى العلم الصحيح الذي يراد تعليمها اياه . ولا يجب ان يضغط عليها بل يجب ان تعامل باللطف والرقة والوداعة والحلم لانها مفطورة على هذه الصفات ولا يمكن ان تتعلم الا اذا